



التطور التاريخي للتكية الإبراهيمية في مدينة الخليل ودورها الاجتماعي والاقتصادي

د. شوكت رمضان حجة

جامعة الخليل - فلسطين

shawkat_hijji@yahoo.com

تاريخ النشر: 2018/09/30

تاريخ القبول: 2018/09/01

تاريخ الإيداع: 2018/08/10

الملخص:

تناولت هذه الدراسة التطور التاريخي للتكية الإبراهيمية في مدينة الخليل منذ نشأتها الأولى في العصر الفاطمي مروراً بالدولتين المملوكية والعثمانية حتى وقتنا الحاضر، من ناحية معالجة مسألة مهمة، وهي القضاء على الفقر في هذه المدينة. وشملت الدراسة نشأة التكية اقتداءً بالعادة القديمة التي سار عليها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل (عليه السلام) من إكرام الضيوف وإطعام الفقراء والمساكين، ثم تناولت دور السلاطين والحكام في الإنفاق عليها إلى جانب التبرعات، وبعض المحطات التي أدت إلى انقطاع عملها وأسباب ذلك، ودورها المميز في إطعام الفقراء والمحتاجين والزوار المقيمين والواردين، وأثر ذلك على النسيج الاجتماعي الفلسطيني، مما دفع المدن الفلسطينية الأخرى إلى تأسيس تكايا مماثلة تحقيقاً للهدف نفسه.

الكلمات الدالة:

التكية الإبراهيمية، مدينة الخليل، الحرم الإبراهيمي، الفقر، التطور التاريخي

Abstract:

This study investigates the historical development of the Ibrahimic Tekiyya (charitable establishment/ currently food charity only) in the city of Hebron from its earliest inception in the Fatimid era through the Mamluk and Ottoman periods to the present day, in terms of addressing an important issue, which is the eradication of poverty in the city. The study includes the emergence of the Tekiyya, following the old tradition by the father of the prophets, Ibrahim al-Khalil (peace be upon him), of feeding the poor and being hospitable towards the guests. The study also deals with Tekiyya's sources of funding, including donations and allocations by the sultans and rulers. The study also discusses the conditions that led to the interruption of its services. It sheds light on its role in feeding the poor, visitors, and residents as well as on the impact of these services on the Palestinian social fabric, which prompted other Palestinian cities to establish similar charities, for the same purpose.

Key Word :

Al-Tikkiyeh Abrahamic, Hebron City, Haram al-Ibrahimi, Poverty, Historical Development



عرفت التكية الإبراهيمية في مدينة الخليل عبر التاريخ بتقديم الطعام للفقراء والمحتاجين والواردين على المدينة، من زوار وعلماء وقادمين للمجاورة وطلبة علم وصوفيين، وقد انعكس ذلك على الخليل، وميزها عن غيرها من المدن، وجعلها تكتسب شهرة واسعة، حتى إنها عرفت بأنها "المدينة التي لا تعرف الجوع أبداً".

وترجع هذه التكية بأصلها إلى أيام النبي إبراهيم (عليه السلام) عندما كان يكرم ضيفه، حتى إنه كان لا يأكل إلا إذا شاركه طعامه الفقراء والمساكين. ويجبر الضيف على أن يقيم في ضيافته ثلاثة أيام، كما ورد في إحدى الروايات، وإذا جهز الطعام كان يدق الطبل إشارة لهم للقدوم وتناول الطعام.

ومن خلال تتبع المصادر التاريخية، تبين أن بداية إحياء سنة هذه الضيافة كان في العهد الفاطمي، وتطورت بشكل ملحوظ في الفترات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، واكتسبت أهمية كبيرة جداً في وقتنا الحاضر، فوجود التكية في البلدة القديمة أسهم بشكل كبير في تثبيت سكانها للبقاء فيها رغم سياسة الضغط والتهميش والتخويف التي تنتهجها السلطات الإسرائيلية المحتلة ضد سكان المنطقة لترحيلهم، وإخلاء المكان للمستوطنين، وذلك من خلال ما تقدمه من طعام للفقراء بشكل عام ولسكان البلدة القديمة بشكل خاص.

ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة، التي تناولت أهمية وجود هذه التكية منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر، خاصة وأنه لا توجد دراسة تتناول هذا الموضوع من ناحية التطور التاريخي للتكية.

ورغم تعدد أسماء هذه المؤسسة إلا أننا اعتمدنا التسمية الحالية لها، وهي "التكية الإبراهيمية"، وبذلك تشمل الدراسة معنى (التكية)، وبداية تأسيسها، وما قدمته وتقدمه من أطعمه في الفترات التاريخية المفصلة المختلفة حتى وقتنا الحالي، ومصادر وقفها. مع إبراز دورها الأساسي في مساعدة الفقراء والمحتاجين باعتباره جانباً من جوانب التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الفلسطيني.

معنى التكية:

تكية: تجمع على (تكايا): رباط يأوي إليه- في الغالب- فقراء المسافرين، أو أشخاص يستضافون بها مجاناً.⁽¹⁾ وفي المعجم الوسيط: "التكية: رباط الصوفية (تركية)".⁽²⁾ أو هي مكان يأوي إليه الصوفيون لممارسة شعائهم.⁽³⁾ والتكية: كلمة فارسية معربة، ولفظها تكية أو تكه؛



بمعنى زاوية⁽⁴⁾. وذكرها صابان باسم تكية (المساكين)، وهي دار الشفاء لمعالجة مرضى الجذام⁽⁵⁾.

نشأة التكية:

يبدو من خلال الدراسات الحديثة أن الاعتقاد السائد حول نشأة تكية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يعود إلى العصر الفاطمي،⁽⁶⁾ في الفترة ما بين (340-375 هـ/951-985م)؛ خاصة وأن أول ذكر لها أورده المقدسي المتوفى عام (375 هـ/985م)،⁽⁷⁾ ولم يعرض الأصبخري (ت 340 هـ/951م) لذكرها عندما زار مدينة الخليل، بل تحدث عن موقع الخليل، ووصف قبور الأنبياء، وأهم زراعاتها.⁽⁸⁾

موقع التكية:

تقع تكية سيدنا إبراهيم بجوار المسجد الإبراهيمي بجانب المسجد الجاولي من جهة القبلة.⁽⁹⁾ وقد أزيلت التكية القديمة وملحقاتها عام (1964م) ضمن مشروع إزالة الأبنية من حول المسجد الإبراهيمي لتنظيم منطقة المسجد وتجميلها، ونقلت بعد ذلك إلى مكان مؤقت بجانب بركة السلطان في المدينة،⁽¹⁰⁾ وفي بداية عام (1983م) قامت الأوقاف الإسلامية بإنشاء مبنى جديد للتكية بجانب المسجد الإبراهيمي من الجهة الشمالية، ابتدأ العمل بها (عام 1984م)، وتم تجهيز هذا المبنى وتزويده بكل ما يلزم التكية، وأصبح الطبخ على الغاز، ولها أربعة موظفين في أثناء الفترة الصباحية للتنظيف والتجهيز، وموظفان في فترة الظهيرة للإطعام والتوزيع.⁽¹¹⁾

أسماء التكية:

وقد عرفت تكية سيدنا إبراهيم إلى جانب هذه التسمية بأسماء أخرى،⁽¹²⁾ مثل: ضيافة الخليل، حيث يقول المقدسي: "... وفي هذه القرية ضيافة دائمة..."،⁽¹³⁾ أو سماط الخليل⁽¹⁴⁾، أو تكية الرباط.⁽¹⁶⁾ والمضيفة،⁽¹⁷⁾ واليوم تعرف بالتكية الإبراهيمية.⁽¹⁸⁾ ومن الممكن تسميتها بتكية (أبي الضيفان)، نسبة إلى لقب سيد المرسلين إبراهيم (عليه السلام).⁽¹⁹⁾

موظفي التكية:

كانت التكية تشمل في بداية نشأتها من الموظفين طباحاً وخبازاً وخداماً ومرتبين يقدمون العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء.⁽²⁰⁾ وفي الفترة العثمانية كان يقوم على نظارتها عدد كبير من الموظفين ما بين طباح وموزع للشوربة وناطور ومغربل وأمين على مخازنها وغيرهم.⁽²¹⁾



أما اليوم، فتشمل التكية أربعة موظفين إلى جانب المتطوعين، ثلاثة طهاة والرابع باحث اجتماعي ومشرف إداري.⁽²²⁾

محتويات التكية:

أما عمارة التكية، فكانت تتكون من مطبخ ومستودعات للحبوب والمواد الغذائية وفرن ومدرس.⁽²³⁾ ومكان عمل خبز السماط في الأفران والطواحين كان متسعاً يشتمل على ثلاثة أفران وستة أحجار للطحن، ويعلو هذا المكان الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير.⁽²⁴⁾ ويذكر شرف الدين الخليلي (ت 1147هـ/1734م)، أنه شاهد حجة قديمة تحتوي على ما تضمنته التكية من معدات وأدوات، ويقول: "وكان له ثلاثة أفران يخبز فيها وثلاثة طواحين بل أكثر، وكان له ستون حماراً تنقل الحطب وغيره، وأربعون بغلاً، هكذا رأيت بذلك حجة قديمة...".⁽²⁵⁾ أما اليوم فتشمل قاعتين للتوزيع إحداها للنساء، والأخرى للرجال، ومطبخ يحتوي على خمسة غازات- أي خمسة قدور- ومخزن وثلاجة كبيرة ومكتب للإدارة، وتجدر الإشارة إلى أن التكية الحديثة مبنية على بيارة من الماء مسقوفة (بركة مسقوفة) يتم استخدام مياهها للحرم والتكية.⁽²⁶⁾

مقادير الطعام المقدم:

أما مقادير الطعام الذي كان يقدم للفقراء والمساكين والزوار، يقول ناصر خسرو في ذلك (ت 481هـ/1088م): "... وبالمضيقة خادمت يخبزن طول اليوم، ويزن رغيفهم مناً واحداً،⁽²⁷⁾ ويعطى من يصل هناك رغيفاً مستديراً، وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت، وزيبيا كل يوم...".⁽²⁸⁾ ويذكر أيضاً أنه كان يقدم الزبيب إضافة إلى الخبز والعدس والدشيشة والزيت في ثلاثة أوقات لجميع الناس.⁽²⁹⁾

وذكر ابن فضل الله العمري (ت 749هـ/1348م) أنه عندما زار مدينة الخليل عام (745 هـ/1344م) تم توزيع ثلاثة عشر ألف رغيف وأن أغلب أيام العام كان يوزع ما بين (7-10) آلاف رغيف إلى جانب العدس بالزيت والسماق والدشيش، وأحياناً في بعض الأيام من الأسبوع يطبخ ما هو أفخر من ذلك.⁽³⁰⁾ أما مجير الدين العليي (ت 928هـ/1521م) فيقول: "كان يعمل كل يوم من الخبز أربعة عشر ألف رغيف وبلغ إلى خمسة عشر ألف رغيف في بعض الأوقات".⁽³¹⁾ ويقول مجير الدين أيضاً: كان يقدم الأرز المفلفل في ليلة كل جمعة والحب رمان،⁽³²⁾ والعدس كل يوم، والأطعمة الفاخرة في أيام الأعياد.⁽³³⁾



يضاف إلى ذلك ما كان يقدم من الشوربة (الدشيشة) أي القمح المجروش.⁽³⁴⁾ ويظهر لنا أن تقديم الخبز والشوربة دون غيره كان يطلق عليه اسم (السماط الصغير)، وفي ذلك يقول شرف الدين الخليلي: "والسماط الصغير وهو ما يعمل من الخبز والشوربة ويصرف كله للفقراء صباحا ومساءً..."⁽³⁵⁾ أما في وقتنا الحاضر فيتم طبخ الشوربة وتوزيعها على خمسمائة عائلة يوميا، وفي أيام العطل الرسمية والمدرسية، يفوق العدد ثمانمائة عائلة، وتعمل الشوربة من القمح المجروش (الدشيشة) أي الجريسة. وفي أيام الإثنين والجمعة يعمل طبخ من اللحوم والدجاج التي تأتي من تبرعات أهل الخير، وبالنسبة لشهر رمضان، فله طقوس خاصة، ويعمل الطبخ على مدار الشهر من اللحوم والدجاج بكميات كبيرة، إذ تأتي من افطارات أهل الخير وصدقاتهم؛⁽³⁶⁾ بالإضافة إلى ما يتم توزيعه، من ذلك: الخبز يوزع يوميا، والأرز حسب التبرعات، وأكثرها في شهر رمضان، معلبات وحلويات إذ تخضع للرقابة الصحية، وأحيانا الدجاج واللحوم الطازجة بدون طبخ، في حالة الأوضاع الطارئة مثل المنخفضات الجوية وغيرها، يتم توزيع ذلك على البيوت.⁽³⁷⁾

وبذلك نلاحظ أن ظاهرة تقديم الطعام، كانت ظاهرة إيجابية. تنم عن تضامن اجتماعي مع الفقراء والمحتاجين والزوار، وبذلك أعطيت مدينة الخليل ميزة لا تضاهيها مدينة أخرى في ذلك، وتبين لنا أيضا، أن تقديم الشوربة هو أمر مفروغ منه من ناحية تقديمه كل يوم، وعرف ذلك باسم (السماط الصغير). وما يقدم دون ذلك من أطعمه، فإنها تعد أطعمه فاخرة تقدم في أوقات معينة، مثل أيام الجمعة والأعياد، وفي شهر رمضان المبارك، وهذه ليست عادة حديثة، وإنما هي عادة قديمة استمرت حتى وقتنا الحاضر.

ويبدو أن أسباب نشأة هذه الضيافة ترجع إلى أيام سيدنا إبراهيم (عليه السلام) عندما كان يكرم ضيوفه حتى إنه كان لا يأكل إلا إذا شاركه طعامه الفقراء والمساكين، ويلزم الضيف أن يقيم في ضيافته خمسة عشر يوما، وفي رواية أخرى ثلاثة أيام، وعند الانتهاء من إعداد الطعام كان يدق الطبل إيذانا لهم لتناوله، وبذلك أصبحت سنة بعده في كل يوم.⁽³⁸⁾

دور الممالك في دعم التكية وآثاره:

وقد أظهرت لنا المصادر التاريخية أن السلطان الظاهر بيبرس،⁽³⁹⁾ أحدث نهضة كبيرة في مدينة الخليل، مثلت الضيافة جانبا منها، وبذلك ذاع صيتها بين المؤرخين والرحالة، حيث يقول ابن عبد الظاهر: "... وأكل منه- أي الظاهر بيبرس-، وأكل الناس والفقراء، وفرق جملة من المال على الأئمة والقراء والمؤذنين والقوان وغيرهم..."⁽⁴⁰⁾



وبذلك فقد رصدت الأموال والمخصصات السنوية اللازمة لاستمرار عمل التكية، فوقف الملوك والسلاطين والأمراء، وقادة الجيش في المدن والقرى والعقارات الكثيرة على المسجد الإبراهيمي والتكية، وكان ربع هذه الوقوف يصل من مصادره المتعددة من مصر والشام وشرق الأردن، ومن جميع أنحاء فلسطين، مثل: مرج ابن عامر ونابلس،⁽⁴¹⁾ ويافا،⁽⁴²⁾ والقدس وبئر السبع وخليل والرحمن ووقف تميم الداري.⁽⁴³⁾ وكذلك ضريبة الأراضي العشرية، وضريبة الحكر⁽⁴⁴⁾، عن الأراضي التي تعود إلى وقف خليل الرحمن؛ إضافة إلى ما يرد التكية من صدقات ونذور وهدايا من الأهالي على فترات متفاوتة.⁽⁴⁵⁾

ورغم الغزو الفرنسي (الصليبي) لبلاد الشام وفلسطين، يذكر ابن فضل الله العمري أن الفرنجة استمروا على عمل السماط، ومن ذلك قوله: "ولما استولى الفرنج على بلد الخليل (عليه السلام) أجروا هذا السماط وزادوا على من كان قبلهم وبالفوا في صلة هذا المعروف".⁽⁴⁶⁾ ولا نعلم هنا هل سار الفرنجة على هذا الطريق! هو من باب مساعدة الفقراء أم السير على سيرة سيدنا إبراهيم (عليه السلام). خاصة وأن المسيحيين يعتقدون بمعتقدات اليهود نفسها حول مقدسات المنطقة، فالمسيحيون واليهود يؤمنون بما جاء في العهد القديم.⁽⁴⁷⁾

ومن السلاطين المماليك- إلى جانب ما قام به الظاهر بيبرس-⁽⁴⁸⁾ الذين أسهموا في دعم مدخول هذه التكية وزيادتها؛ بحيث أصبحت مصدراً اقتصادياً لسكان مدينة الخليل وغيرهم من زوار المدينة من مسلمين ومسيحيين ويهود فقراء وغيرهم مقيمين وواردين،⁽⁴⁹⁾ أمر السلطان سيف الدين قلاوون (678-689هـ / 1279-1290م)،⁽⁵⁰⁾ بإصلاح السماط والزيادة في راتبه،⁽⁵¹⁾ ووقف السلطان الظاهر برقوق (748-801هـ / 1382-1398م)،⁽⁵²⁾ قرية دير استيا من عمل نابلس لزيادة راتب السماط،⁽⁵³⁾ كما أنعم السلطان الملك الظاهر جقمق العلائي (842-857هـ / 1438-1453م)،⁽⁵⁴⁾ على الوقفين بالقدس والخليل مبلغ ألفين وخمسمائة دينار ذهباً برسم العمارة، ثم أنعم بمائة وعشرين غرارة من القمح،⁽⁵⁵⁾ تصل قيمتها ثلاثة آلاف وستمائة دينار، ثم نقص على الوقف ثمن الغلال، فأنعم بتوفية الثمن وهو أربعة آلاف وسبعمائة دينار.⁽⁵⁶⁾ وأنعم السلطان الأشرف إينال (857-865هـ / 1453-1460م)،⁽⁵⁷⁾ على الوقفين القدسي والخليلي بألف ومائتي إردب قمح،⁽⁵⁸⁾ ما قيمته أربعة آلاف وثمانية دنانير.⁽⁵⁹⁾ كما أنعم السلطان الظاهر خشقدم (865-872هـ / 1460-1467م)،⁽⁶⁰⁾ على جهة الوقف الخليلي بستين غرارة قمح ما قيمته ثمانمائة وأربعون ديناراً.⁽⁶¹⁾

انقطاع السماط وأثره في تردّي الأوضاع المعيشية



كان لانقطاع السماء أثر سيئ على المنتفعين منه سواء كان من الفقراء أو الزوار، وأول ذكر لانقطاعه ما أورده النويري في حوادث عام (663هـ / 1264م) في عهد السلطان الظاهر بيبرس بشكل مقتضب، لم نستطع التمييز من خلاله بين ناحيتين: هل تم قطع راتب السماء أم قطع السماء نفسه؟ حيث قال: "... وكان ذلك قد قطع من مدة طويلة".⁽⁶²⁾ وذكر مجير الدين العليمي في أحداث سنة (893هـ / 1499م) قطع السماء دون ذكر سبب ذلك، وقال: "... وفيما قطع السماء الكريم... في أول السنة إلى عشرين جمادى الأولى، ثم عمل من الشعر ولم يعلم أنه قطع مثل ذلك من تقادم السنين...".⁽⁶³⁾ مما تسبب ذلك في إحداث موجة من السخط والاستنكار من الأهالي احتجاجا على ذلك.⁽⁶⁴⁾

وفي بداية الدولة العثمانية- القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي- انقطع السماء الخليلي عدة مرات، منها حين تعرضت الغلال إلى النهب من المفسدين والاعراب وهي في طريقها إلى التكية في مدينة الخليل، كما حدث في أعوام (990هـ / 1582م) بين القدس والخليل، (1000هـ / 1592م) في وادي حسكة،⁽⁶⁵⁾ ببلدة حلحول.⁽⁶⁶⁾

وبسبب الأمطار انقطع السماء أعوام (977هـ / 1569م)،⁽⁶⁷⁾ وعام (981هـ / 1574م) انقطع السماء سبعة عشر يوما، بسبب عدم القدرة على نقل الغلال من القدس والرملة، لكثرة الأمطار والسيول.⁽⁶⁸⁾ وانقطع السماء أيضا في عام (992هـ / 1584م) لمدة واحد وتسعين يوما بسبب القحط والجفاف الذي أصاب المنطقة وعدم وصول الغلال.⁽⁶⁹⁾

ويذكر شرف الدين الخليلي في أحداث عام (1127هـ / 1715م) أن السماء الخليلي كان مقطوعا قبل عشرين عاما من زيارة رجب باشا،⁽⁷⁰⁾ والي الديار الشامية الذي زار الخليل في أثناء ملاقاته ركب الحج الشريف في العام المذكور، ودون شرف الدين زيارته في كتاب عرف باسم (تاريخ القدس والخليل)، وقال: "وان سماط أبي الأنبياء الكرام خليل الرحمن مقطوع من نحو عشرين سنة...".⁽⁷¹⁾ وقال أيضا في انقطاع السماء: "أما بيان السماء الكبير الذي هو من فيض فضل الله ممدود... ما سمعنا أنه قطع ولا منع، بل إن الملوك والأكابر تدعو ويدعى لها بإدامة السماء كسماط إبراهيم الخليل... ولكن من نحو عشرين سنة قطع ومنع السماء الكبير...".⁽⁷²⁾

وينفرد شرف الدين الخليلي بذكر أن السماء في التكية الإبراهيمية في الفترة العثمانية كان يقسم قسمين: السماء الكبير وهو ما كان يفرق في كل يوم ثلاثة غراير وثلاث، وكان يعمل في كل يوم خمسة عشر ألف رغيف، ويصرف ذلك على زوايا ومدارس ورباطات ومعاهد خير في



الخليل وخارجها كمقام لوط (عليه السلام)،⁽⁷³⁾ لمن فيه من المجاورين والفقراء ومقام سيدنا يونس (عليه السلام)،⁽⁷⁴⁾ ومقام سيدنا العيص (عليه السلام).⁽⁷⁵⁾ والسماط الصغير وهو ما يعمل من الخبز والشوربة. ويصرف للفقراء صباحا ومساء مع دق الطبول.⁽⁷⁶⁾ ويبدو أن انقطاع السماط كان "سببه المحدثات على الوقف المخالف لشروط الواقف"،⁽⁷⁷⁾ أي الاعتداء على وقف السماط من قبل المنتفعين من وقفه وكانوا يطلقون على أنفسهم "السادة الخدام الخليلون".⁽⁷⁸⁾ فكان مجيء والي الشام إلى مدينة الخليل فرصة سانحة "للجم الغفير والجمع الكثير من الفقراء والمساكين والأرامل والمتقطعين بالمدينة المزبورة..."، للتضرع والشكوى له بسبب انقطاع سماط الخليل.⁽⁷⁹⁾

وبعد إحضار دفاتر الوقف والنظر فيها تبين أن مخالفات الوقف المحدثه بلغت عشرين غرارة تقريبا، عن كل غرارة أحد عشر ألفاً وثلاثمائة وست وسبعون أقة،⁽⁸⁰⁾ تكفي (22776) فقير)، ويقول المؤلف: "... فليتيق الله من يحدث ذلك... فمن أين يدور السماط ويحصل للفقراء انبساط".⁽⁸¹⁾ وبذلك أمر رجب باشا متولي الوقف خليل أغا أن يدير السماط الكريم من الشوربة والخبز، وقال للفقراء والحاضرين: " يكون خصمي استاذكم ابراهيم إن لم انتصر لكم لوجه الله وكرامة ومحبة في انبياء الله".⁽⁸²⁾ وهذا يدل بشكل قاطع على أن توقف السماط عن العمل في مدينة الخليل كان يؤدي إلى تردي أحوال الناس المعيشية عامة والفقراء والمساكين والمعدمين على وجه الخصوص. وهذا بدوره دفع رجب باشا والي الشام إلى استدعاء مشايخ جبل الخليل التابعين للوقف مثل البلديات الآتية: دورا وإذنا وخرسا وحلحول ويطا وبني نعيم وشويكة،⁽⁸³⁾ وعدير،⁽⁸⁴⁾ وحررها للوقف ونههم إلى دفع سائر حقوقه.⁽⁸⁵⁾

وفي وقتنا الحاضر انقطع السماط في الفترة ما بين (1982-1984م)، بسبب ضيق المكان وأوضاعه غير الصحية، لوجوده بجوار بركة السلطان، وبذلك تم نقل التكية إلى مكانها الجديد بجوار الحرم الإبراهيمي من الجهة الشرقية.⁽⁸⁶⁾ وأغلقت التكية في فترة مجزرة الحرم الإبراهيمي بتاريخ 25 شباط 1994،⁽⁸⁷⁾ لمدة أربعة أشهر، بفعل الإغلاق الاحتلالي الإسرائيلي. وإضافة إلى ذلك فقد كان ينقطع السماط أحيانا بفعل منع التجوال الذي كان يفرضه المحتل الصهيوني.⁽⁸⁸⁾

وبذلك نلاحظ أن انقطاع السماط يعزى إلى عوامل متعددة، منها: العوامل البشرية مثل فترات الفوضى واستغلال المفسدين والأعراب، إلى جانب مقدرات التكية من قبل القائمين عليها. والعوامل الطبيعية مثل: الأمطار والجراد والجفاف.



دور التكية في النواحي المعيشية ومقاومة المحتل:

وفي يومنا الحاضر تعد التكية الإبراهيمية من أهم التقاليد التي تحتاجها محافظة الخليل عامة والبلدة القديمة خاصة، إذ إن لها دوراً فعالاً في المحافظة على النسيج الاجتماعي، إضافة إلى دورها في تثبيت المواطنين في البلدة القديمة أمام سياسة التهويد الإسرائيلية التي لا تعرف حدوداً من سياسات التخويف والطرْد والضرب والمضايقة، والنفي والمصادرة، وتشجيع اللصوص وأصحاب السوابق، وغيرها من الأساليب، وبالتالي فهي المؤسسة الوحيدة التي تتحمل العبء الأكبر في البلدة القديمة لصمود المواطنين من خلال تقديمها الطعام للفقراء وغيرهم، إلا أن اهتمامها ينصب على شريحة الفقراء أكثر. وهذا بدوره دفع أعداداً من فقراء المناطق الأخرى خارج مدينة الخليل إلى القدوم والسكن بجوار التكية والاستفادة مما تقدمه من شوربات واطعمة.⁽⁸⁹⁾ وهناك عوائل قدمت من البلدات المجاورة لمدينة الخليل، واستقرت في البلدة القديمة للاستفادة من ما تقدمه التكية، مثل: بلدة يطا، وسعير، وبيت فجار، وإذنا، والسموع، وبني نعيم، وترقوميا. وهناك من يأتي من البلدات المختلفة ويأخذ حصته دون إقامة. وهناك أيضاً بعض المتعافين من الفقراء الذين لا يأتون إلى التكية، فيلجأ الموظفون إلى السؤال عنهم وإرسال الطعام إلى بيوتهم.⁽⁹⁰⁾

كان لنجاح التكية الإبراهيمية في مدينة الخليل دور مهم في تحفيز أهالي بعض المدن الفلسطينية الأخرى على إنشاء تكايا لمساعدة المعوزين والفقراء وسد حاجاتهم من الطعام، ومنها عدد من التكايا في كل من: دورا، يطا، أريحا (أم علي)، القدس، نابلس، طولكرم.⁽⁹¹⁾ نخلص من هذه الدراسة بأهم هذه النتائج الآتية:

- 1- تبين أن التكية تقدم نوعين من السماط، السماط الصغير ويتكون من الخبز والدشيشة (الشوربة)، والسماط الكبير ويتكون من اللحوم بأنواعها والخضار والأطعمة الفاخرة.
- 2- التكية تعتمد في موجوداتها من الأطعمة على الأوقاف والتبرعات النقدية والعينية.
- 3- كان لانقطاع السماط في الفترات التاريخية المختلفة دور في الشكوى والتذمر، وذلك بسبب اعتماد شريحة كبيرة من المجتمع الخليلي في معيشتها على ما تقدمه التكية.
- 4- نجاح التكية في المحافظة على النسيج الاجتماعي، وتلبية متطلبات شريحة لا بأس بها من المجتمع في الخليل سواء فقراء أو غيرهم زوار أو مقيمون، أعطى دافعا قويا للحدو حذوها في المدن الفلسطينية الأخرى لعمل تكايا؛ خاصة في ظل وجود مضايقات الاحتلال المختلفة، وبروز حالات فقر متزايدة في الخليل وفلسطين.



الحواشي:

- ¹ - دوزي، رنهارد: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، العراق، نشر وزارة الثقافة والإعلام، 1979م، ج 2، ص 55.
- ² - المعجم الوسيط، ط 2، القاهرة، 1972م، ص 86.
- ³ - مسعود، جبران: معجم الرائد، ط 7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص 235.
- ⁴ - أبو ارميلة، صلاح وآخر: الحرم الإبراهيمي، إدارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القدس، 1985، حاشية رقم 1، ص 181.
- ⁵ - صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرازق بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 75.
- ⁶ - أبو ارميلة، ص 181.
- ⁷ - المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 375هـ/985م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، لندن، 1909، ص 172؛ وينظر: أبو بكر، أمين: قضاء الخليل 1918/1864م، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، 1994م، ص 91.
- ⁸ - الأصبخري، إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 340هـ/951م): مسالك الممالك، لندن، برل، 1927م، ص ص 57-58.
- ⁹ - أبو ارميلة، المسجد الإبراهيمي، ص ص 181-182؛ أبو بكر، قضاء الخليل، ص 91.
- ¹⁰ - بركة السلطان: تقع وسط مدينة الخليل، جنوب غرب الحرم الإبراهيمي، في عام (682هـ/1283م) أمر السلطان سيف الدين قلاوون الألفي: "أن تكون جوالي أهل الذمة بالقدس والخليل وبيت لحم وبيت جالا، مرصدة لعمارة بركة السلطان في الخليل، وقد اتخذت شكلا مربعا طول كل ضلع 40 مترا تقريبا/ ويبلغ عمقها 25 مترا". المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م): السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ج 1، ق 3، ص 712؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 5، ق 2، ص 128.
- ¹¹ - أبو ارميلة، المسجد الإبراهيمي، ص 184.
- ¹² - أبو ارميلة، الحرم الإبراهيمي، ص 181؛ أبو بكر، قضاء الخليل، ص 91.
- ¹³ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 172؛ وينظر: السيد، علي: الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 286.
- ¹⁴ - السماط: ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآذب. ينظر: ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد الطنجي (ت 779 هـ / 1377م): رحلة ابن بطوطة، ط2، شرحه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص 809. ويقول مجير الدين العليمي في تعريف السماط: "وبجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي



يعمل فيه الدشيشة للمجاوريين والوارديين، وعلى الباب تدق الطبلخاناه في كل يوم بعد العصر عند تفرقة السماط الكريم، وهذا السماط من عجائب الدنيا...". مجير الدين العلمي، أبو اليمن (ت 928هـ/ 1521م): الاتس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان أبو تبنة، مكتبة دنديس، الخليل، 1999، ج 1، ص 148.

¹⁵ - أبو صافي، سعيد: مدينة الخليل في العصر المملوكي، مكتبة دنديس، الخليل، 2002م، ص 22؛ السيد، الخليل، ص 286.

¹⁶ - أبو بكر، قضاء الخليل، ص ص 91-92.

¹⁷ - خسرو، ناصر القيادي (ت 418 هـ/ 1088م): سفرنامه، ترجمة أحمد البدلي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1983، ص 75؛ خلف، تيسير: وصف فلسطين أيام الفاطميين، موسوعة رحلات العرب، دار كنعان، عجمان، 2010، ص 120.

¹⁸ - مقابلة مع الشيخ حفزي ياسين أبو اسنينة، مدير الحرم المكلف وإمام وخطيب الحرم الإبراهيمي تاريخ 3 أذار 2013.

¹⁹ - شرف الدين الخليلي، شمس الدين محمد بن محمد (ت 1147هـ/ 1734م): تاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2004، ص 125.

²⁰ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 173.

²¹ - أمين أبو بكر، قضاء الخليل، ص 92.

²² - مقابلة مع السيد لؤي حافظ الخطيب، رئيس شعبة الطهارة والخدمات في التكية؛ والسيد رجا رامي غيث، باحث اجتماعي ومشرف إداري في التكية؛ والسيد عطايا حسن الجبريني، طاهي؛ والسيد جواد نعمان الننتشة، طاهي؛ والسيد هاني عبد القادر الصرصور، متطوع، بتاريخ 3 أذار 2018، مبنى التكية، مدينة الخليل.

²³ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 173؛ أبو ارميلة، المسجد الإبراهيمي، ص 181.

²⁴ - النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل (ت 1143هـ/ 1731م): الحضره الأنسية في الرحلة القدسية، إعداد: حمد يوسف، قسم إحياء التراث، القدس، 1994م، ص 603؛ أبو ارميلة، المسجد الإبراهيمي، ص 182؛

مجير الدين العلمي، الأتس الجليل، ج 1، ص 149؛ أبو ارميلة، المسجد الإبراهيمي، ص 182.

²⁵ - شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس، ص 143.

²⁶ - مقابلة مع السيد لؤي حافظ الخطيب، رئيس شعبة الطهارة والخدمات في التكية، بتاريخ 3 أذار 2018، مبنى التكية، مدينة الخليل.

²⁷ - المن: هو المينة القديم، يساوي شرعا رطلين، كل رطل (130) درهما، ويبدو أن وزن الرغيف بالمن في الفترة المذكورة تختلف عما أورده هنتس. هنتس، قالتر: المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، 1970م، ص 45.

²⁸ - ناصر خسرو، سفرنامه، ص ص 75-76؛ تيسير خلف، وصف فلسطين، ص 120.



- ²⁹- ناصر خسرو، ص 75.
- ³⁰- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هـ / 1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل جبوري، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج 1، ص 134.
- ³¹- مجير الدين العلمي، الأنس الجليل، ج1، ص 148.
- ³²- الحب رمان: نوع من انواع العصور، أبو صافي، الخليل، ص22.
- ³³- الانس الجليل، ج 2، ص 170.
- ³⁴- أمين أبو بكر، قضاء الخليل، ص 92.
- ³⁵- تاريخ القدس، ص 143.
- ³⁶- مقابلة مع السيد لؤي الخطيب.
- ³⁷- مقابلة مع السيد لؤي الخطيب.
- ³⁸- علي السيد، الخليل، ص 286.
- ³⁹- الظاهر بيبرس: ركن الدين البندقداري الصالح النجمي، ولي السلطنة المملوكية عام (659 هـ / 1260م)، واستمر حتى توفي عام (676 هـ / 1277م). للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م): الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م، ج 1، ص 203.
- ⁴⁰- ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت 692هـ / 1292م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، (د.ن)، الرياض، 1976م، ص 250.
- ⁴¹- أوقف السلطان الظاهر برقوق (784-801هـ / 1382-1398م) قرية دير استيا من أعمال نابلس على السماط لزيادة راتبه سنة (792هـ / 1389م) وشرط أن لا يصرف ريعها إلا على السماط الكريم فقط. ينظر: العلمي، الإنس الجليل، ج 2، ص ص 165-166. وقد أورد شرف الدين الخليلي نص وقف برقوق، ومنه: "وذلك جميع القرية المعروفة بدير اصطيا من أعمال نابلس المعمورة على السماط المبارك بالحرم الشريف حرم سيدنا الخليل... من المؤن اللازمة وهو القمح والعسد والزيت... لا يغيره الأعوام والتكرار ولا يبدله اختلاف الليل والنهار...". للمزيد ينظر: تاريخ القدس والخليل، ص 194.
- ⁴²- المصدر نفسه، ص 189.
- ⁴³- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 173.
- ⁴⁴- يقصد بضريبة الحكر إعطاء العقار أو الأرض الخربة لمن يغرسها أو يعمرها، فتكون مؤيدة بيده ما دام بناؤه أو غراسه قائما فيها، ويقوم الشخص المحتكر للأرض أو للعقار بدفع مبلغ معين في كل عام مقابل حكره، ويتم باتفاق بينه وبين ناظر الوقف أو من ينوب عنه، وقد يصل عقد الحكر إلى تسعين عاما، ويكون له الحق في بيع المباني أو الغراس أو تأجيرها، وفي حال بيعها ينتقل الحكر معها. للمزيد ينظر: غنائم، زهير: طرق استغلال الوقف وجبايته في القدس في العصر العثماني حتى بداية التنظيمات (922-1266هـ / 1516-1850م)، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2018، ص 15؛ الخطيب، محمد: الأوقاف



الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، 2007، ص 267؛ المدني، زياد: الأوقاف في القدس وجوارها في القرن التاسع عشر الميلادي (1215-1336هـ/1800-1918م)، (د.ن)، عمان، 2004، مج 1 ج 1، ص 46.

⁴⁵ - أبو ارميله، المسجد الإبراهيمي، ص 181.

⁴⁶ - ابن فضل اللع العمري، مسالك الأبصار، ص 134.

⁴⁷ - سعيد أبو صافي، مدينة الخليل، ص ص 52-53.

⁴⁸ - ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص 351؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 251؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت 809هـ/1406م): النفحة المسكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص 67.

⁴⁹ - ابن شداد، عز الدين محمد بن علي (ت 684هـ/1285م): تاريخ الملك الظاهر، اعتناء: أحمد حطيط، فواز شتاينر، فيسبادن، 1983، ص 350؛ ابن سباط، حمزة بن أحمد (ت 926هـ/1520م): تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، 1993م، ص 451؛ سعيد صافي، مدينة الخليل، ص 70.

⁵⁰ - سيف الدين قلاوون: هو الملك المنصور قلاوون الصالحي، ولي السلطنة ما بين (678-689هـ/1279-1290م). للمزيد ينظر: ابن شاهين الملطي، عبد الباسط ابن خليل، (ت 920هـ/1514م): نزهة الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ص-ص 79-80.

⁵¹ - سعيد صافي، مدينة الخليل، ص 91.

⁵² - الظاهر برقوق: هو برقوق بن أنص العثماني، أول سلاطين دولة المماليك الثانية (دولة الجراكسة) تولى السلطنة مرتين، (784-791هـ/1381-1388م) والثانية (792-801هـ/1389-1398م). الملطي، نزهة الاساطين، ص 115.

⁵³ - مجير الدين العلمي، الأنس الجليل، ج 2، ص ص 165-166.

⁵⁴ - السلطان الظاهر جقمق: هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق، ولي السلطنة عام (842هـ/1438م)، وبقي فيها على أن خلع نفسه بسبب المرض، تمادى به اشهرًا، عام (857هـ/1453م)، للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج 1، ص 246.

⁵⁵ - الغرارة: مكيال دمشقي للحنطة وتتألف من (12) كيلا، أو (72) مدا، أي حوالي (204.5 كغم) قمح، أو حوالي (265) لترا، بوصفها مكيالا. وفي القدس ثلاث غرائر دمشقية تساوي حوالي (613.5) كغم قمح، أو حوالي (765) لترا. هنتس، المكايل والاوزان، ص 64.

⁵⁶ - مجير الدين العلمي، الأنس الجليل، ج 2، ص ص 169-170 .

⁵⁷ - الأشرف اينال: هو الأشرف ابو النصر سيف الدين اينال العلاني الظاهري، السادس والثلاثون من ملوك الترك، الثاني عشر من ملوك الجراكسة، بويغ بالخلافة (857هـ/1453م)، وتوفي (865هـ/1460م). ابن اياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت 930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 307، 369.



- 58- الإرذب: مكيال مصر للحنطة، يتألف من ست وبيات، كل وبية (8) اقداح كبيرة، أو (16) قدحا صغيرا، ويصعب تحديد الارذب بدقة. هنتس، المكايل والاوزان، ص58.
- 59- مجير الدين العلمي، الأنس الجليل، ج 2، ص 173.
- 60- الظاهر خشقدم: هو الملك الظاهر ابو سعيد سيف الدين خشقدم الناصر المؤيدي، الثامن والثلاثون من ملوك الترك، أول ملوك الوم في مصر، تسلطن (865هـ/1460م)، توفي (872هـ-1467م)، للمزيد ينظر: ابن اياس، بدائع الزهور، ص378، 455.
- 61- المصدر نفسه، ج 2، ص 174.
- 62- النويري، شهاب الدين أحمد (ت 733هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد شعيرة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1990م، ص 111.
- 63- مجير الدين العلمي، الأنس الجليل، ج 2، ص 469.
- 64- علي السيد، الخليل، حاشية 1، ص 289.
- 65- حسكة: أوردها شراب الحسكة، وهذا خطأ. والصحيح حسكة: تقع في الجنوب الغربي من حلحول، وفيها عيون كثيرة، وتكثر فيها البساتين والكروم. شراب، محمد: معجم بلدان فلسطين، ط 2، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1996، ص 293.
- 66- عماد البشتاوي، باسم احشيش: تكية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج9، ع1، 2014، ص219.
- 67- المرجع نفسه، ص 219.
- 68- سجل 56، ح 351، 15 ذي القعدة (881هـ/ 8 أذار 1574م)، ص 56.
- 69- البشتاوي، تكية، ص 220.
- 70- رجب باشا: هو الشخصية الرئيسية التي دارت حولها أحداث كتاب (تاريخ القدس والخليل) للمؤرخ المذكور. للمزيد ينظر: شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس والخليل، ص 45.
- 71- شرف الدين الخليلي، ص 132.
- 72- المصدر نفسه، ص 143.
- 73- مقام لوط يقع اليوم في بلدة بني نعيم قضاء الخليل. ينظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 5 ق 2، ص 202.
- 74- يوجد في بلدة حلحول جامع النبي يونس (عليه السلام)، وفيه ضريح ينسب إلى النبي يونس (عليه السلام). ينظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 5 ق 2، ص 165.
- 75- مقام العيص: نسبة إلى عيص بن اسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، يوجد في بلدة سدير وسط البلد، وبني مسجد العيص اليوم فوق هذا الضريح. ينظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 5 ق 2، ص 173؛ عواد، محمد وآخر: الطريق المنير إلى تاريخ سدير، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، الخليل، ص 63، 64.
- 76- شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس والخليل، ص 143.
- 77- المصدر نفسه، 179.
- 78- المصدر نفسه، الحاشية رقم 281، ص 257.
- 79- شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس، ص 179.



⁸⁰ - الأفة: وحدة وزن عثمانية تزن 400 درهم، كل درهم 3,207 غرام و 1,2828 كيلو غرام. هانتس، المكايل والموازين، ص 19.

⁸¹ - شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس، ص 180.

⁸² - شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس، ص 181.

- شويكة: يبدو أنها شويكة بني قيس، تقع في ظاهر الظاهرية الشرقي. الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 5 ق 2، ص 230.

- عتير: تقع في الجنوب الشرقي من بلدة الظاهرية، جنوب الخليل، ينظر، الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 5 ق 2، ص 235.

⁸⁵ - شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس، ص 192.

⁸⁶ - مقابلة مع السيد لؤي حافظ الخطيب، رئيس شعبة الطهارة والخدمات في التكية؛ والسيد رجا رامي غيث، باحث اجتماعي ومشرف إداري في التكية؛ والسيد عطايا حسن الجبريني، طاهي؛ والسيد جواد نعمان الننتشة، طاهي؛ والسيد هاني عبد القادر الصرصور، متطوع، بتاريخ 3 آذار 2018، مبنى التكية، مدينة الخليل.

⁸⁷ - مجزة الحرم الإبراهيمي: وقعت فجر يوم الجمعة 15 رمضان 1414هـ-25 آذار 1994م، أقدمت مجموعة من المستوطنين يقودهم القاتل (باروخ غولدشتاين) بدعم من الجيش الاسرائيلي على ارتكاب جريمة نكراء، حيث قام بإطلاق النار على المصلين وهم سجد ويؤدون شعائهم الدينية داخل المسجد، مما أدى الى استشهاد 29 فلسطينيا على الفور، وزاد عددهم لىفوق الستين شهيدا، من تبعيات هذا العمل. ينظر: الجعبري، خميس، مجزة الحرم الابراهيمي وقائع واحداث، (د.ن) (د.م)، 1994.

⁸⁸ - مقابلة مع لؤي الخطيب وآخرون، بتاريخ 3 آذار 2018، مبنى التكية، مدينة الخليل.

⁸⁹ - مقابلة مع السيد لؤي الخطيب.

⁹⁰ - مقابلة مع السيد لؤي الخطيب.

⁹¹ - مقابلة مع الشيخ حفطي ياسين أبو سنينة، مدير الحرم المكلف، وإمام وخطيب الحرم الابراهيمي.